

شاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري

بقلم الشاعر الدكتور / خالد حماش



الشاعر عمر بهاء الدين الأميري

بهاء الدين الأميري الذي سنجول في
حدائق أدبه، ونتعرف على روائع فنه،
ونقطف باقات من شعره، وقبل أن نلج
إلى عالم شعره لابد من التعرف على



د/ خالد حماش

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أن من نماذج من شعراء الأدب
الإسلامي الأديب الداعية عمر

حياة هذا الشاعر العظيم، المليئة بالأعمال الجليلة، والمفعمة بالنشاط والدعوة إلى الله، ولد عام 1915م في مدينة حلب الشهباء وأتم فيها دراسته الثانوية.

■ درس الأدب وفقه اللغة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة السوربون، والحقوق في جامعة دمشق.

■ تولى إدارة المعهد العربي الإسلامي في دمشق.

■ مارس المحاماة في حلب وشارك في بعض مؤتمرات اتحاد المحامين العرب.

■ شارك في الدفاع عن القدس مع جيش الإنقاذ 1948م.

■ مثل سوريا سفيراً في باكستان والسعودية.

■ درّس في جامعات المغرب من عام 1983-1991م.

■ دُعي أستاذاً زائراً ومحاضراً في عدد كبير من الجامعات العربية والإسلامية.

■ عضو في رابطة الأدب الإسلامي وفي أسرتي المجمع العلمي

العراقي والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن.

■ شاعر منذ بواكير عمره طبع له أكثر من ثلاثين ديواناً وكتاباً.

■ وترجمت بعض قصائده إلى لغات أجنبية.

■ ألفت في دراسة شعره وفكره أطروحات جامعية عدة.

■ وعرف بـ (شاعر الإنسانية المؤمنة).

شعر الأمير:

لا يجد الباحث في شعر الأمير كبير العناء في معرفة فكر الأمير وأهدافه من شعره ففي ديوانه الأول نجد قصيدة يعرفنا فيها عن مفهومه للشعر وأهدافه وهي من الوضوح بما يغني عن التعليق عليها يقول فيها:

أيها القارئون رفقا بشعري

إن شعري مشاعر منظومة

إنه سبحة إلى الله عبر النور

في جو قدسه معصومة

إنه أناة من الصدر حرى

وأسى من حشاشة مكلومة

تحكمه قوالب لفظية وأعراف زائفة
فكرية، حتى تحدى شعره قلبه النابض
الحيّ فعلى من يريد نقد شعره أن يدرك
أنه يتعامل مع قلب نابض، وهذا يتطلب
قدراً كبيراً من اللطف والرقّة في
التعامل.

ولقد كان شاعرنا وفيّاً للمبادئ التي
خطّها فصدر شعره كله معبراً عن
خفقات قلبه مع ربه، وترنيماً لسبحات
الكون وانفعالاً مع الحياة أباً للأطفال،
ورباً لأسرة، ومواطناً صالحاً مؤمناً
مهتمّاً بأمتّه، منافحاً عن كرامتها
وأصالتها ودينها، ناشراً الكلمة الطيبة
في كل مكان معبراً عن إعجابه
بالجمال، سابعاً إياه بالقيم العليا، نائياً به
عن السفاسف.

فراه في ديوانه (مع الله يخلق في عالم
الإيمانيات والروحانيات فيربط الحياة
بالإيمان، فهو في قصيدته الأولى في
هذا الديوان (مع الله) والتي سمى
الديوان باسمها، يعدد كل أحوال
الإنسان الزمانية والمكانية والنفسية وما
تقع عليه عينه وما يدركه عقله وما
يشعر به قلبه، ليجعلها كلها مع اللازمة
الرائعة (مع الله) ليعزف لحن الوجود

إنه ثورة على كل بغوي
وانتصار لأمة مظلومة
إنه وقدة الغريزة في جسمي
وفيض من نزوة مكتومة
إنه نشوة بأي جمال
في السماوات والندى مرقومة
لحون مرموزة من وجيب القلب
أنشدتها لغوى مفهوممة
لا أراعي بها هياكل لفظ
أو أصولاً مفروضة مرسومة
أيها القارئون شعري
مرايا لسجايا صغيرة وعظيمة
هو روعي أو بعض إشراق روعي
هو نفسي مجهولة معلومة
هو سرّ الحياة لاح لحدسي
وضميري فصغته ترنيممة
من يشأ نقده فلا ضير لكن
هو قلبي فمن يرى تحميممة
وشاعرنا هنا قد أعاد الشعر إلى حقيقته
التي غابت عن الواقع عصوراً وهو أنه
انعكاس لمشاعر صاحبه وهمومه
واهتماماته يصوغها بسجية وعفوية لا

الأزلي الأبدي، ويترجم الآيات والأحاديث الكثيرة التي تعبر عن هذا المعنى .

ولقد عبر الأستاذ العقاد عن إعجابه بديوان (مع الله) في رسالة للأميري يقول فيها: (ديوانكم مع الله آيات من الترتيل والصلاة يطالعها القارئ فيسعد بسحر البيان كما يسعد بصدق الإيمان....)، ولقد نجحت العديد من قصائد الأميري في الإنشاد وذاع صيتها، وما ذلك إلا لسلاسة موسيقاها وروعة معانيها؟ ومن ذلك قصيدة (مع الله) التي يقول فيها:

مع الله في سباحات الفكر
مع الله في لمحات البصر
مع الله في رعشات الهوى
مع الله في الخلجات الأخر
مع الله والقلب في نشوة
مع الله والنفس تشكو الضجر
مع الله في سبر كنه الوجود
وروح الحياة وسر القدر
مع الله في وحي قرآنه
مع الله في آيه والسور
مع الله في الفيض من قدسه
ينير بصيرتنا والبصر

وقصيدة شعاع التي يقول فيها:

تأملت في كنه هذا الوجود
وغصت على كشف أسرارهِ
فجبت الوهاد وطففت النجود
وجللت بأجواء أنوارهِ
وفكرت في نحسه والسعود
وفي خيريه وأشرارهِ
وإذ كاد يعرو شعوري الجمود
ويثنيه عن سبر أغوارهِ
تلاً لي من خفايا الخلود
شعاع فصحت بإكبارهِ
وقصيدة (في سر الحياة) ومطلعها:

رباه قد ضج الألم
والكون نام ولم أنم
التي بلغ بها أعلى درجات الشاعرية
وقوة التصوير مع شيء من الرمزية
الشفافة المليئة بالاستعارات
والتشبيهات، حيث يعبر فيها الشاعر
عن شدة الألم التي يعانيتها، وهو في
أسر الحياة التي امتلأت بالظلم
والضلال، والبعد عن الحق حتى غدا لا
يدري ماذا يُنتظر من مصائب وآلام،
ويقسم مرتين أنه لولا خوفه من الله
ولولا طبعه الذي يعاف النقائص بما
ورثه من خير الشيم لاعتزل الناس أو

لفارق هذه الدنيا، ولكنه في الدنيا يسلم
الأمر لله ويقرّ لحكمته التي قد لا تبرز
للناظر أحياناً.

وهنا لا بد أن أنبه على أن الأستاذ فواز
حجو قد جانب الصواب عندما رأى
الأميري في قوله:

أنا لست أدري خلف هذا
الدرب ماذا قد جثم
ووراء أكمام الغدال
مجهول أيّ أسى ألم
يشبه إيليا أبو ماضي في قصيدته،
(لست أدري) فشتان بين الشاعرين،
شاعر روحة تهفو إلى المعارج القدسية
وتضيق ذرعاً بقيود الحياة وأساليبيها من
ظلم وطغيان الإنسان، وشاعر تائه في
عقيدته لا يدري من أين ولماذا جاء،
وإلى أين يذهب، وليس أدل على ما
ذهب إليه من قوله:

والله لــــولــــا الله

والطبعُ العيوفُ لِمَا يذمّ

للزمت دار توحّدي

حتى أسربل بالعدم

والله لــــولــــا الله

والموروث من خير الشيم

لنزحت عن دنيا
قوام حياتها خفر الذمّ
لكنني المأخوذ في
أسر الحياة، ولا ندم
أمر الإله وحكمه
والله أحكم من حكم

وقوله في أول القصيدة:

الواقع المضمي الممضّ
يجرني نحو الظلم
ومن أي ترقى في السماء
وتمتطي النجم الأشمّ

ولعمري أي أسلوب استشعاري أجمل
من هذا في التعبير عن تطلع روجه إلى
أعلى المقامات ولا يحجبه عنها إلا هذه
الحياة التي امتلأت بالظلم، وهذا ما
يجعله خائفاً مما يحمله الغد من مجاهيل
وآلام ومأس.

ونرى الأميري يتألق في شعره
الإنساني وهو يفيض رحمة وعطفاً
وحناناً في قصيدة (أب)، والتي تفرد بها
الشاعر بين الشعراء قديماً وحديثاً، وهو
يصف بيته وحاله بعد ما فارقه أولاده
بعد لقائه بهم في عطلة الصيف يقول
فيها:

مشاعر الأبوة الحانية، وعواطف
الطفولة اللاهية، ودقائق الخلجات
النفسية، التي قد تراها متناقضة
الظاهر، منسجمة الباطن، وما فيها من
صور حية رسمها الحرف الناطق
والحس الصادق والشعر الرائق المعبر
بسلاسة عن أعماق الشاعر»، ويُنقل عن
العقاد أنه قال عن هذه القصيدة: (ولو
كان للأدب العالمي ديوان من جزء
واحدٍ لكانت هذه القصيدة في طليعته)،
وقد ترجمت هذه القصيدة إلى الفرنسية،
وقورنت بقصائد الشاعر (فيكتور هو
جو) في الأجيال، ومن قصائده
الوصفية الجميلة قصيدة (قرنايل) التي
قدم لها بقوله (إنها تصوير لإطلالة
الفجر، وإشراقه النهار، وتخيل الصراع
بين الشمس والوادي على ابتزاز
الروعة والجمال ساعة الغروب،
والدهر يشهد هذا الحدث الرتيب، ثم
انتقال إلى آفاق من النجوى والشكوى
والألم والأمل، فالعزيمة الحائرة في
النفس الثائرة) والقصيدة طويلة جداً
وتعد على رأي الأستاذ فواز حجو
ملحمة من أهم شعر الأميري، لأنها

أين الضجيج العذب والشغب
أين التدارس شابه اللعب؟
أين الطفولة في توقدها
أين الدمى في الأرض والكتب؟
أين التشاكس دونما غرض
أين التشاكي ماله سبب؟
أين التباكي والتضحك في
وقت معا، والحزن والطرب؟
ذهبوا، أجل ذهبوا، ومسكنهم
في القلب، ما شطوا وما قربوا
بالأمس في (قرنايل) نزلوا
واليوم قد ضمتهم (حلب)
دمعي الذي كتمته جلدًا
لما تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا
من أضلعي قلبا بهم يجب
ألفيتي كالطفل عاطفة
فإذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العذال من رجل
يبكي، ولو لم أبك فالعجب
هيهات ما كل البكا خور
إني وبني عزم الرجال.. أب
يقول العلامة القرضاوي تعليقا على
هذه القصيدة الفريدة، «لما احتوته من
قوة التصوير، وروعة التعبير عن

لونَ متميز من ألوان الطيف الشعري
ومن أبياتها:
يا لحسن وروعة في ديب العزم
لم يبق ذا حياة بداره
ماج منه الوادي بروح مُطل
من كوى الفجر، خافق في إطاره
لابس بهجة الصباح، ووهج الماس
والدر، في اتضاح نهاره
فاتقاد النشاط في ساكنيه
كاتقاد الحياة في أطيّاره
ورفيف الفراش والنحل يحكي
دأب النمل جَدًّا في تسياره
ويمر النهار في نصب السعي
ويبدو المساء خلف ستاره
في احمرار، كخذ بيضاء رود
حجبت بالشفوف من جئاتاره
وكأني بالشمس غارت من الوادي
وقد لاح زاهياً في خمّاره
ثم ألقى عباءة الليل عنه
فتبدى الجمال بعد استتاره
ثم أضحى تهتزّ في جانبيه
خطرات الحياة، رغم وقاره

فالتبيعة لم تعد صامتة، وإنما
أصبحت تضجّ بالحركة والصوت،
وكانها ساعة معركة حقيقية تراق فيها
الدماء، ويتصايح فيها الشخوص،
وتسقط فيها أو من خلالها معاناة
الشاعر ومناجاته وأحزانه، وله قصيدة
بعنوان (عزلة الأحرار) ومما يقوله
فيها:

قالوا: اعتزلت؟ فقلت عزلة رابض
متحفز للوثبة الشّماء
إنني لأرجو أن أحاول صادقاً
في صوغ ذاتي من تقى ومضاء
لأكون في الجلى إذا الداعي دعا
سهماً يصيب مقاتل الأعداء
ما عزلة الأحرار إلا عزلة
والصبر كل الصبر في اللأواء
إن التوحد في الرجال إلى مدى
شحد لحد الهمة القعساء
فعزلته ليست عزلة المهزوم أو
الضعيف أو المتخلي عن المسؤولية،
وإنما هي عزلة استعداد، وتنقية للنفس
لتكون عند الحاجة أشد مضاء وأكثر
عطاء، واستعار حالة الأسد والسيف
لينقل هذا المعنى للقارئ.

وما زال أهل التقى يعشقون
ومن خامر الطهر أخلاقه
تأبى الصغار وعاف المجون
فعلت الأصوات تعبر عن فرحتها
وسرورها بهذا الرد، وكان الرد بحق
ممثلاً لأخلاق وفلسفة الأمير في
نظرته نحو الجمال والحب والعشق،
فهو يصدر عن قلب عامر بالإيمان،
وطبيعة سمحة عالمة بأسرار الحياة،
وسجية تأبى الخنا والفجور وترقى إلى
مراقي العشق الصافي.

وأختم حديثي عن الأمير رحمه الله
بكلمات للدكتور أسعد علي يقول فيها
(هذا عمر مظهراً وطوية، شاعر حسن
ذوق، وشاعر روح وتوق، يطوف
بقارئه على أجنحة صورة عوالم من
الحس والفتنة والصبأ والحب، ثم يقذف
به إلى فوق ويسلمه لبرق ينفذ بروحه
إلى خبايا الأعالي، حيث الأجل
والأصفى والأكمل، تفوق مرة وقصر
أخرى) ولكنه ظل وفيماً لمبادئه في
شعره وأدبه، فكان بحق شاعر
الإنسانية المؤمنة.

كما كتب في مواضع شتى كالجهاد
والغزل العفيف وفي الأخلاق، ولا يسع
المجال لاستعراض نماذج من هذا
الشعر.

ومن الطرائف التي جرت مع
المرحوم الأمير أنه كان في إحدى
المناسبات ألقى محاضرة في الأدب
وختمها بأمسية شعرية من شعره،
فقامت طالبة وقالت ما رأيك في قول
الشاعر:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فَتَنَةً

وقلت لنا: يا عباد اتقون
وأنت جميل تحب الجمال
فكيف عبادك لا يعشقون
فساد صمت في قاعة المحاضرات
وخجلت الفتاة وكاد الشاعر أن يخرج ثم
ما لبث أن قال يا بنيتي:

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا نَعْمَةً

وقلت لنا يا عباد اتقون
وان الجمال تقى والتقى
جمال ولكن لمن يفقهون
فذوق الجمال يصفى النفوس
ويحبو العيون سمو العيون
وإن التقى هاهنا في القلوب